ملامح الاستعارة الذهنية كبعد عرفنّي في شعر عياش يحياوي من خلال ديوانه "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية".

Features of mental metaphor as a dimension that defined me in AyyashYahyaoui's poetry through his divan "What the Barefoot Heart Sees in the Time of Shoes"

ط د. آسية مرهون[1]، د. عزالدين عماري[2]

[1]جامعة محمد بوضياف بالمسيلة(الجزائر)، الايميل: marhoun 098@gmail.com

[2]جامعة محمد بوضياف بالمسيلة(الجزائر)، الايميل: azzeddine.ammari@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/22 تاريخ القبول: 2021/10/11 تاريخ النشر: 2021/12/13

ملخص: اللسانيات العرفنّية تيار لساني حديث النشأة ينبني أساسا من خلال النظر في العلاقة التفاعلية القائمة -في الحقيقة- بين اللغة البشرية والذهن، وقد نشأ هذا التيار محاولا الإجابة عن العديد من التساؤلات أهمها: كيف نفكر؟ كيف نستطيع إدراك وفهم العالم من حولنا؟ وكيف نكتسب المعلومات ونوظفها لإنتاج لغة نتواصل بها؟

من بين المقولات التي تأسست عليها اللسانيات العرفّنية مقولة الإدراك والمعنى، وكون الاستعارة جزءا لا يتجزأ من مجال المعنى؛ فإن هذا البحث يسعى إلى إعطاء لمحة وجيزة عن الاستعارة بمفهومها العرفّني الجديد، كما يحاول الإجابة عن إشكالية مفادها: كيف عالجت اللسانيات العرفنية الاستعارة التقليدية بمنظور ذهني حديث؟ وسيكون مجال التطبيق في كل هذا ديوان "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية" للشاعر الجزائري عياش يحياوي.

كلمات مفتاحية: اللسانيات العرفنّية، الذهن، الإدراك، المعنى، الاستعارة

Abstract Cognitive linguistics is a newly emerging linguistic current that builds mainly by looking at the existing interactive relationship - in fact - between human language and the mind. How can we perceive and understand the world around us? How do we acquire and use information to produce the language in which we communicate?

Among the categories on which customary linguistics was founded is the category of perception and meaning, and the fact that metaphor is an integral part of the field of meaning; This research seeks to give a brief overview of metaphor in its new customary concept. It also attempts to answer a problem: How has customary linguistics treated traditional metaphor with a modern mental perspective?The field of application in all this will be the book "What the Barefoot Heart Sees in the Time of Shoes" by the Algerian poet AyyashYahyaoui.

Keywords: Cognitive linguistics, mind, perception, meaning, metaphor,

المؤلف المرسل: د. عزالدين عماري، الإيميل: azzeddine.ammari@univ-msila.dz

تعد الاستعارة بابا من أبواب المجاز اللغوي وقد أوردها البلاغيون القدامى بعد التشبيه لما بينهما من رابطة وشيجة، فالاستعارة – كما هو معلوم- تشبيه حذف أحد طرفيه، و غرضنا في هذا المقام ليس التفصيل في مفهومها ولا في أنواعها، وإنما أن نكتفي ببعض ما ورد في ذكرها لنمرّ بعد ذلك إلى بيت القصيد وهو ما تعلق بالاستعارة العرفانية، وتطبيق ذلك في ديوان "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية" للشاعر الجزائري عياش يحياوي.

أولا:مفهوم الاستعارة:

01-في اللغة:

تتفق جل المعاجم العربية في تعريفها للاستعارة على أن لفظة الاستعارة لا تخرج في معناها اللغوي عن الجذر الثلاثي "ع و ر"، وهو قد ورد في **معجم العين** بمعنى العارية حيث يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: " العارية ما استعيرت من شيء سميت به، لأنها عار على من طلبها،... ويقال المعاورة والمناولة، و يتعاورون: يأخذون ويعطون"[1].

كما نجد **ابن منظور** يقول في **لسان العرب**: " و العارية و العارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وأعاره إياه، والمعاورة و التعاور تشبه المداولة، والتداول في الشيء يكون بين شيئين..."[2].

والملاحظ من خلال ما تم ذكره هو أن لفظ " الاستعارة" لا يخرج عن معنى المعاورة أي المناولة والأخذ والعطاء والتداول.

02-في الاصطلاح:

جاء في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني أن الاستعارة هي " ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: لقيت أسدا وأنت تعني به الرجل الشجاع "[3].

ثانيا: الاستعارة بين المفهوم البلاغي والمفهوم العرفّني:

01-المفهوم البلاغي للاستعارة:

01-01-عند العرب:

شغلت الاستعارة حيزا كبيرا وعدت من أهم الموضوعات البيانية التي اهتم بها جل البلاغيين العرب في القرون الخمس الأولى؛ كونها أحد أهم الركائز التي قام عليها علم البلاغة العربية عندهم، ولا يتسع المقام لذكر آرائهم جميعا ولكن نكتفي بأشهرهم.

جاء في تعريف عبد العزيز الجرجاني(ت392ه) للاستعارة ما يلي: " إنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار على الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها لتقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين أحدهما إعراض عن الآخر"[4].

وإذا كان القاضي الجرجاني قد ركزّ على تحديد ركني الاستعارة الأساسيين واللذين هما: المستعار والمستعار منه،فإن أبا هلال العسكري (ت395ه) قد ركز على " النقل"، وذلك في قوله:" الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره بغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى، وفصل الابانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه"[5].

أما عبد القاهر الجرجاني(ت471ه) فقال في تعريفه للاستعارة " واعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل عليه الشواهد على أنّه أختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية "[6].

وقال في موضع آخر يتحدث عن هذا " النقل": " واعلم أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ "النقل" في الاستعارة فمن ذلك قولهم: إن الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل"[7].

إن المتأمل لما ذكره عبد القاهر الجرجاني يجد أنه يركزّ فيه على نقل الكلمة من معناها الحقيقي إلى معناها المجازي، والشرط في صحة هذا النقل أن تكون فيه اللفظة التي نقلت إليها اللفظة الأولى قريبة منها في معناها متباعدة عنها في اللفظ.

وأما المحدثون من البلاغيين العرب فلم يخرجوا عن إطار ما ذكره القدامى، حيث إنهم يعرفونها على أنها من ضرب المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتهما المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[8]؛ أي استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع اللفظ له.

02-01- عند الغربيين:

عُدّت الاستعارة من بين المواضيع التي لاقت اهتماما بالغا لدى الدارسين الغربيين والمنشغلين باللغة كونهم يعتبرونها وسيلة من وسائل الفهم والإدراك التي تحقق للإنسان التواصل مع الواقع من خلال مختلف نشاطات التفكير اليومية التي يقوم بها، وقد اختلفت نظرة العلماء المحدثين إلى الاستعارة حيث أثمرت أبحاثهم المتعلقة باللغة إلى الاهتمام بالاستعارة من زاوية نظر جديدة تختلف عن الدراسات البلاغية القديمة، وقد تبلورت هذه الدراسات أساسا تحت نظريتين أساسيتين هما: النظرية الاستبدالية، والنظرية التفاعلية.

أ- النّظرية الاستبدالية:

أشارت أغلب الدراسات اللغوية الحديثة إلى أنّ البدايات الأولى لدراسة الأسلوب الاستعاري برزت ملامحها في الدراسات اليونانية ومن بين الدارسين الذين اهتموا بدراسة هذا المجال الفيلسوف أرسطو فهو يعرف الاستعارة بأنها: " نقل اسم يدل على شيء ما إلى شيء آخر: والنقل يكون إما من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو بحسب التمثيل"[9].

نستنتج من خلال هذا القول أن أرسطو قد حدّد مفهوم الاستعارة بشكل دقيق وحصرها في زاوية محددة، وهي نقل اسم من معنى إلى معنى آخر، وكذلك أعطى تقسيما جديدا للاستعارة تمثل في أربعة أقسام وهي: النقل من الجنس إلى النوع، النقل من النوع إلى الجنس، النقل من النوع إلى النوع، و النقل التمثيلي.

ب- النّظرية التفاعلية:

تعد النظرية التفاعلية من بين النظريات التي شكلها البلاغيون الجدد في دراستهم للاستعارة، ليتجاوزوا من خلالها النقص الذي طال دراسة الاستعارة في المنظور البلاغي القديم، وقد قامت النظرية التفاعلية أساسا على مجموعة من الانتقادات التي وجهها الدارسون المحدثون للنظرية

الاستبدالية الأرسطية، حيث مكنتهم هذه الانتقادات من بناء نظرية جديدة ترى أن الاستعارة لا تقف حدودها في الجانب اللغوي فقط أي إنها ليست مسألة لغوية فحسب بل تتعدى ذلك إلى كونها نتاجا فكريا تتفاعل فيه عوامل ذهنية عديدة لها علاقة مباشرة بالمجتمع.

وقد انبنت هذه النظرية على أفكار جديدة خاصة فيما تعلق بدراستها للمعنى، حيث اعتبرت المعنى بناء تفاعليا تجتمع فيه العديد من العوامل الذهنية والتي لها علاقة مباشرة مع المجتمع، وقد قامت هذه النظرية في تفسيرها للمعنى على علمين أساسيين هما:

- علم النفس المعرفي: من فروع علم النفس العام، وهو علم حديث النشأة يهتم بالبحث في الكيفية التي تمكن الذهن البشري من استقبال المعلومات وتحليلها و تنظيمها وتخزينها وقت الحاجة، أو استجابة للحاجات المباشرة وقت الحاجة[10].

-علم النفس الجشطالتي: هو في الحقيقة تيار نفسي يهتم بدراسة الإدراك والسلوك انطلاقا من ربطه بالأحداث النفسية والفيزيولوجية التي تربط الفرد مع محيطه الخارجي، وهو يقر بأهمية النظرة الكلية الشمولية إزاء المواقف والظواهر النفسية المدروسة، وقد قامت نظرية الإدراك الجشطالتية بوضع جملة من القوانين تعرف بقوانين الإدراك لأجل تفسير كيفية حدوث هذا الأخير، من هذه القوانين: التقارب، التشابه، الاستمرارية، الإغلاق، ...[11].

02- الاستعارة من المنظور العرفّني:

لم تعد الاستعارة ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن تُؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية؛ أي إن الاستعارة من هذا المنظور أصبحت ذات طبيعة تصورية لا لسانية، فهي عملية تقوم على استغلال آلة الذهن في إدراك مختلف الأشياء من حولنا عن طريق خلق مجال مشابه له يؤدي إلى تصور ما لا نستطيع أن ندركه لطبيعته الخيالية، أو أننا لم نره قط، فنحيا فيه من خلال ذلك التصور[12]، ومن أهم علماء الغرب الذين درسوا الاستعارة من المنظور العرفّني، نذكر:

02-01- بولريكور " Paul Ricoeur ":

بنى بول ريكور تصوره في فهم الاستعارة انطلاقا من رفضه لمسلمات النظرية الاستبدالية التي تقوم أساسا على المشابهة والاستبدال مما جعل من الاستعارة عملية عقيمة، وبالتالي هذا ما جعله

يرفض الخضوع لمسلمات هذه النظرية، وفي المقابل رأى أن النظرية التفاعلية هي النموذج الأمثل الذي يهتم بدراسة الاستعارة ويجعلها عملية ابتكار دلالي يقدم دائما معلومات وأفكار جديدة.

أكّد "بول ريكور" من خلال انتقاده على أن الاستعارة ليست مجرد عملية استبدال في دلالة الكلمات معتمدة في ذلك على المشابهة، بل يرى أن الاستعارة تتجاوز دلالة الكلمة إلى الاهتمام بدلالة الجملة، وما دامت كذلك فان الاستعارة عند "ريكور" تعد ظاهرة إسناد لا مجرد تسمية، ويضرب لذلك مثالا يتمثل في قوله: " غطاء الأحزان"، وبالتالي تكون عملية الجمع بين هذين المفردتين هي ما يشكل الاستعارة و ليست الكلمة المفردة هي ما يشكل الاستعارة، وبهذا يقول " ريكور" إنه لا يجب علينا أن نتحدث عن استعمال استعاري لكلمة معينة بمفردها وإنما ينبغي التحدث عن قول استعاري يحصل انطلاقا من التوتر بين مفردتين[13].

إذن يرى " ريكور" أنه مادامت الاستعارة لا تهتم بالكلمات باعتبارها تنتج على صعيد جملة كاملة، فانّ ما ينبغي تأمله ليس العدول عن المعنى الحرفي في الكلمات بل توظيف عمل الإسناد على صعيد الجملة بكاملها، ومن هنا ينتج التوتر الاستعاري الذي هو في الحقيقة توتر بين تأويلين متناقضين يغذي هذا الصراع القائم بين التأويلين المعنى الاستعاري.

02-02-"جورج لايكوف"و"مارك جونسن"George Lakoff andMarkJohnson ":

يعد جورج لايكوف ومارك جونسن من بين أهم الباحثين الذين كان لهم الفضل في تجسيد النظرية التفاعلية، حيث عملا على دحض مسلمات النظرية الأرسطية السابقة من خلال إعادة النظر في المعرفة وذلك نظرا لاعتبارها أداة لفهم أعمق للوقائع و الوعي بها، والانتباه إلى ما يختفي وراءها، وقد قاما بعرض هذه الأفكار والتصورات الجديدة في مؤلفهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها"، حيث عُدّ هذا المؤلف قفزة نوعية في مجال العلوم اللسانية العرفّنية، كونه أضفى بعدا معرفيا جديدا جعل من الاستعارة وسيلة معرفية تكمن فاعليتها في البعد التجريبي الذي يسهل للإنسان فهم الواقع، وبالتالي شأنها شأن التجارب الإنسانية الأخرى، لهذا فهي تتيح لنا محاولة مقاربة حصول المعاني، ومحفزاتها وطريقة اشتغالها[14].

يرى كل من "لايكوف وجونسن"أن الاستعارة عملية ذهنية مرتبطة بعمل الفكر وترتبط ارتباطا مباشرا بأنشطتنا وأعمالنا وتفكيرنا.

إن المتأمل في هذا التعريف يلحظ أن الاستعارة في المنظور العرفّني اكتسبت صبغة جديدة جعلتها تتعدى مجال اللغة إلى مجال آخر أكثر عمقا وهو مجال التفكير الذهني، الذي ينعكس بدوره في مختلف النشاطات التي يقوم بها الإنسان في الواقع الذي يعيشه، وبالتالي خرجت الاستعارة من جانبها الجمالي الإبداعي إلى جانب الحياة اليومية الاعتيادية.

أ-عناصر الاستعارة العرفّنية عند "جورج لايكوف" و"مارك جونسن":

تقر النظرية التفاعلية عند لايكوف وجونسن بأن الاستعارة تشترط حضور طرفين أساسيين هما المستعار والمستعار منه، وتنتج الاستعارة في المنظور العرفّني خاصة عند أصحاب النظرية التفاعلية انطلاقا من تفاعل فكرتين نشطتين تجمعهما كلمة واحدة أو مركب واحد، والتفاعل يبدأ جراء ملاحظة السمات المشتركة على مستوى الفكرتين النشطتين، بعدها يتم الانتقال إلى وحدة تنتج من التفاعل الذي يحصل بينهما فتجمعهما معا، ولا تقوم على فكرة النقل، والفكرة المتمخضة عن التفاعل ليست مجرد إضافة بسيطة للطرفين إلى بعضهما البعض بل هي ذهنية، حيث يُنظر فيها بعين الاعتبار لكل من المختلف والمؤتلف فالكل حينها هو ما يشكل وحدة[15].

ب- أنماط الاستعارة العرفّنية عند "جورج لايكوف" و"مارك جونسن":

ميز الباحثان "**لايكوف**" و"**جونسن**" في النظرية التفاعلية بين نوعين من الاستعارات هما: الاستعارات الوضعية، والاستعارات غير الوضعية أو المعروفة باسم الإبداعية كونها ترتبط بالإبداع.

- الاستعارات الوضعية:

يعرف هذا النوع من الاستعارة باسم الاستعارة العادية، وسميت كذلك كونها دائمة الحضور في لغة البشر أي أنها ملازمة دائمة للغة، ويكون هذا النوع من الاستعارة خاليا من القصد أو التخييل، وبالتالي يعتبر لايكوف هذا النوع من الاستعارة مجرد وصف مباشر لمختلف الظواهر الذهنية التي تعكس البنية التصورية للبشر، وهذا النوع من الاستعارة هو

أساس كل عملية استعارية[16].

ويندرج تحت هذا النوع من الاستعارة ثلاثة أنواع فرعية، هي: الاستعارات الاتجاهية، الاستعارات الأنطولوجية، والاستعارات البنيوية.

- الاستعارات الاتجاهية:

يخضع الإنسان يوميا لتجارب تصوُّرية، فيتعرض لتجربة الاتجاهات الفضائية الفيزيائية، ويحوز على مكانته تبعا لموقع الجسد في الفضاء، فينتج عنه مفاهيم وتصورات كثيرة تعكس تفاعل الإنسان مع محيطه، وتتجلى الاستعارة الاتجاهية بواسطة ظروف المكان مثل" البحر أمامكم والعدو خلفكم"، أو " الجنة تحت أقدام الأمهات" أو مفاهيم من قبيل:" مركز /هامش" كقولك :" أنت على هامش اللعبة " وغيرها من الاتجاهات، وعليه فان هذا النمط من الاستعارات يُنظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة ويُعطيها توجها فضائيا، إذن فالاستعارة الاتجاهية يتم بواسطتها تنظيم نسق كامل من التصورات باعتماد نسق آخر[17].

- الاستعارة الأنطولوجية:

الانطولوجيا هي أحد بحوث الفلسفة الرئيسية، وهو يشمل النظر في الوجود بإطلاق، مجردا من كل تعيين أو تحديد وهو عند أرسطو علم الموجود بما هو غير موجود ولهذا سُمي بعلم الميتافيزيقا العام، الذي يبحث في الوجود بنواحيه المختلفة.

وبالتالي إذا كانت الانطولوجيا يُقصد بها النظر في الوجود بإطلاق، فإنّ الاستعارة الأنطولوجية تنطلق من هذا المفهوم، فتقوم باستعارة شيء عام مطلق مفهوم لدينا من خلال تجاربنا معه، لفهم شيء لم نره من قبل، ولكنه موجود فعلا وتعد هذه الرؤية نوع من الميتافيزيقا أي ما وراء الطبيعة، وهي عملية عقلية يتم فيها فهم الشيء غير المنظور انطلاقا من الشيء المنظور أي نستعير كل ما نراه في الطبيعة لنفهم ما لم نره من قبل من أحداث وأنشطة وأحاسيس، ولكننا نرى هذه الأشياء من خلال آثارها علينا وتجاربنا معها، ولهذا تتحول هذه الأشياء غير المنظورة إلى ذوات لها كيانات و وجود مادي، مما يجعلنا نتعامل معها على أنها مواد فيزيائية، تمكننا من فهم الشيء المعنوي لنتفاعل معه كأنه شيء مادي[18].

إذن فهذا التعامل والتفاعل مع الأشياء غير المنظورة أصبح وسيلة أساسية تمكن أذهاننا من إدراك العالم من حولنا.

-**الاستعارة البنيوية:** تتأسس الاستعارة البنيوية على ترابطات نسقية داخل تجاربنا، حيث تسمح لنا بإيجاد الوسائل الملائمة لتسليط الضوء على بعض المظاهر والتي تعمل على إظهار بعض التصورات وإخفاء أخرى.

وتنشأ الاستعارة البنيوية من تجربتنا للأشياء، والواقع الاجتماعي والثقافي إذ تتبين تصورا ما استعاريا عن طريق مجال أخر، وهي بعبارة أخرى تعني القبض على مظهر من مظاهر تصور ما عن طريق تصور آخر[19].

ثالثا: تمظهر الاستعارة الذهنية العرفّنية في نماذج من شعر عياش يحياوي:

إن المطّلع على ديوان الشاعر الراحل عياش يحياوي الذي يحمل عنوان "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية "، ليجد أنه يحمل عددا معتبرا من التعابير المتوفرة على استعارات عرفنية متنوعة، انطوت في أغلب القصائد التي يحويها هذا الديوان، من ذلك:

أ- الاستعارات الاتجاهية:

خاصة ما تعلق منها بالفضاء والتي تأسست انطلاقا من التفاعل بين ما هو فيزيائي وما هو ذهني ومن أمثلة ذلك قوله في القصيدة التي تحمل عنوان " انخطافات الليلة الثالثة ":

ترقص الآن تحت النجوم لعشاقها في المقابر

إني أكاد أرى ما تخبئ أجنحة الطير

قبل الرحيل[20]

وهنا نجد استعارة اتجاهية أسسها الشاعر على التفاعل بين ما هو مادي فيزيائي وبين ما هو ذهني، ذلك أن كلمة " **تحت** " دلت على اتجاه في قوله: " ترقص الآن تحت النجوم "؛

والرقص حركة فيزيائية جسدية تعبر عن الفرح في غالب الأحيان ، غير أن الشاعر هنا يربطه بالمقابر، وبالتالي فلفظة " تحت " تحيلنا إلى العديد من المعاني، وأهم هذه المعاني الإحباط والشعور بالانهيار لأن الشاعر جعل النجوم فوق ونفسه التي ترقص تحت، وهذا التصور ليس اعتباطا بل هو مرتبط بالتصور الذهني و ذات الشاعر، فالمرء في العادة ترتفع معنوياته عندما يكون في حالة نفسية جيدة وبالتالي في هذا النوع من الاستعارات يتخذ الشيء النفسي والمعنوي اتجاها في الفضاء الفيزيائي

يمثله، كقولنا: "السعادة فوق / التعاسة تحت"، وبالتالي وظف الشاعر لفظة " تحت" ليعبر عن الحالة النفسية انطلاقا من فضاء فيزيائي مرتبط بالتصور الذهني.

نجد كذلك استعارة اتجاهية في قوله أيضا:

يجبرني أن تكون ذراعاك مني السياج

وان أتحدث أبكم خلف زجاج[21]

وفي قوله كذلك:

أبيع دم الشهداء بحفنة شعر وأركض

خلف الطيور ببارات هذا السراب[22].

وهنا أيضا تمثل لفظة "خلف "اتجاها فيزيائيا يبدي حالة نفسية للشاعر تتمثل في خوفه من التقدم.

ب- الاستعارات الأنطولوجية:

حوى الديوان أيضا مجموعة من الاستعارات الأنطولوجية وقد تمثلت في مجموعة من البنى النسقية والموضوعات المجردة، والتي لا يمكن فهمها إلا بالاستناد إلى أنساق فيزيائية أخرى أي موضوعات محسوسة، والمقصود من هذا أنه يمكننا من خلال الاستعارات الأنطولوجية تقريب فهم الأشياء المجردة انطلاقا من ربطها بأشياء محسوسة في الواقع الذي نعيش فيه، وأمثلة هذه الاستعارات كثيرة في قصائد الشاعر الراحل عياش يحياوي نجد منها قوله:

قد نسيت أن تزمّلني

فارتطمت بوهج الفجيعة واستوطنتني الوحوش

وريح البراري[23].

وقد بنيت هذه الاستعارة من خلال تصوير ما هو معنوي بما هو مادي، حيث صُوّرت الفجيعة هنا بشيء يتّقد، والوهج هو الاتقاد واشتداد الحرارة، فالشاعر جعل الفجيعة تتوهج، فتحول بذلك المعنوي إلى مادي. وهذا البناء يقوم كله على ما لدينا من تجارب وثقافة تتعلق بالتوهج، ومثلها قول الشاعر " واستوطنتني الوحوش"، حيث يصور الشاعر ذاته على أنّها غابة وهي استعارة مرتبطة بالتصورات الذهنية للشاعر.

و نجده يقول أيضا في القصيدة التي تحمل عنوان: " ناصيا ":

كان اسمها نهر الصباح

إن نوديت غمر الضياء البكر دالية الهوى

. . .

وساح القلب في الكفر المباح

يا واهب الأرواح بالتقسيط

. . .

واهب الأرواح هذي المرة الأولى

يسيل الفجر من كفي لعينيها[24]

ضمت أغلب أبيات هذه القصيدة مجموعة من الاستعارات الأنطولوجية، والتي في الحقيقة يتم استعمالها للتعبير عن الأشياء غير المدركة وغير المحسوسة مثل الانفعالات والعواطف كالغضب والحب، لهذا نجد أن الشاعر وظف هنا هذا النوع من الاستعارات حينما تحدث عن المشاعر.

يمكن لهذا النوع من الاستعارات إعطاء دلالات لمختلف الظواهر المحيطة بنا والكامنة فينا، وهذا هو ما يهتم به المعنى في التصور العرفنّي الجديد، والذي يرى أننا ندرك العالم من حولنا انطلاقا من المعطيات الفيزيائية وعلاقتها بالأشياء المجردة وعلى أساس هذا يصبح التعامل معها على أنها كيان ومادة حتى نحقق فهمنا لها في تصورنا الذهني.

ج - الاستعارات البنيوية:

نجد أيضا في ديوان الشاعر الراحل عياش يحياوي العديد من الاستعارات البنيوية التي انبنت على ترابطات نسقية مكنت من إظهار بعض التصورات التي توضح مظاهر التجربة الواقعية ومن بين أهم الاستعارات قوله:

ويبدو بأني كبرت مع النوم

ولم أر جسمي يطول سحاب النهار

ومن دسّ خنشوشه في حمى العمر

واستل مني الأصابع والقدمين وأتلف شعري

وحرّم عني الأراجيح والعلك

والجري خلف العصافير. ..

أحلى جنون الذراري

سأفضح للناس أبوابه ومخارجه

وإن أطال احتباسي

وأخرج ما في قرارة كاسي

ألا أذهب فلست أنا

ليس مني لباسي

أنا في القرى عابد للنجوم

أسمي الكلاب بأسمائها والجبال بأحزانها[25]

إن التصور الذي يتضح من خلال هذه الاستعارة التي وظفها الشاعر قد تمت بنيته بواسطة ترابطات نسقية مثلت لنا الهدف وهو جدال ظهر من خلال قول الشاعر، بناء عليه صار كأنه حرب واقعية تمثل واقعا فيزيائيا ملموسا قابلا للفهم وبناء عليه ندرك أن الشاعر يتعامل مع عدو له عبّر عنه بقوله:

ومن دس خنشوشه في حمى العمر

وهذا نوع من أنواع الاستعارة البنيوية وهو استعارة **"الجدال والحرب"**

ما يمكننا قوله في الأخير هو أننا بينّا الفرق بين الاستعارة من المنظور البلاغي التقليدي والذي كان ينظر إليها فيه على أنها عبارة عن زخارف لفظية تضفي جمالية على التعابير الشعرية والاستعارة من المنظور العرفّي والذي جعل منها وسيلة وآلية تمكننا من فهم العالم الذي نعيشه، كما أننا لا نستطيع الاستغناء عنها؛ فهي مرتبطة بالحياة اليومية ارتباطا وثيقا، كما عرضنا لأهم الاستعارات العرفنّية التي ضمّها ديوان الشاعر الراحل عياش يحياوي والذي يحمل عنوان " مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية "، ووجدنا أنها كثيرة، تنوعت بين الاتجاهية والانطولوجية والبنيوية، وهي تؤدي دورها في بناء التصور القائم على تجارب الشاعر، أو في بيان أحاسيسه ورغباته، كما أنها تحقق مقصدية

الشاعر وتظهر شخصيته أكثر، فهو يصف نفسه بنفسه ويطرح أفكاره بشكل مباشر واضح ويفسر بعض أحاسيسه التي خاضها بمفرده.

الهوامش:

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، 2002م. مادة: عير.

2- جلال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، مادة: مادة (عور).

3- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1985، ص: 20.

4-علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، 1966م، ص:40، 41.

5 -أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، د ط، 1986م، ص268

6- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت/لبنان، ط2، 1999، ص27.

7 المرجع نفسه، ص:434.

8-ينظر:علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، لندن، د ط، 1999، ص: 77، وأيضا: عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985، ص:175.

9- أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د ط،1953م، ص:58.

10- ينظر: عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي " النظرية والتطبيق"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، د ط، 2004، ص:20.

11- ينظر: المرجع نفسه، ص: 27.

12- ينظر: محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط:01، 2009، ص:123.

13- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط:01، 2003م، ص:90.

14- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط:01، 1996م، ص: 10، 11.

15- ينظر: جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية (لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش)أنموذجا، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،2011م، ص:40،39.

16- ينظر: المرجع نفسه، ص: 42.

17- ينظر: صالح غيلوس، مباحث لسانية عرفنية، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، د ت، د ط ، ص:90.

18- ينظر: المرجع نفسه، ص: 93

19- ينظر: المرجع نفسه، ص: 85.

20- عياش يحياوي، ديوان انخطافات الليلة الثالثة، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، ط:02، 2008، ص: 08،07.

21- المصدر نفسه، ص: 08، 09.

22- المصدر نفسه، ص:09.

23- عياش يحياوي، ديوان: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص: 09.

24- المصدر نفسه، ص:17.

25- المصدر نفسه، ص:29،82.